الأستاذ الدكتور:الياس مستاري

السنة الأولى ليسانس

المجموعة:ج/السداسي الثاني

المحاضرة الخامسة: المنظوم و المنثور.

لم يكن اهتمام الأدباء والنقاد بالشعر بأقل من اهتمامهم بالنثر والنظر في مفهومه ومقوماته، وإن لم يصلنا منه إلا القليل، وقد أكد ابن رشيق أن ما ضاع من الموروث النثري أكثر كثيرا مما ضاع من الموروث الشعري "وكان الكلام كله منثورا، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة...فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره".

فيا ترى ما مفهوم النثر؟ وأيهما أسبق الشعر أم النثر؟ وما الفرق بينهما؟ وكيف نظر النقاد القدامى إلى النثر؟

1- مفهوم النثر:

جاء في لسان العرب، النثر: ترك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحب إذا بذر...

والنثرة: الخيشوم وما والاه.. أو خرجة ما بين الشاربين حيال وترة الأنف، أو الدرع الواسع.

أما في القاموس المحيط للفيروز آبادي، نثر ينثر الشيء ينثره نثرا ونثارا، رماه متفرقا كنثره ما ينتثر من المائدة فيؤكل للثواب، واستنثر استنشق الماء ثم استخرج ذلك من نفس الأنف كانتثر، وهذه المعاني كلها توحي بالتبعثر واللاتناسق، ولعل ذلك هو السبب في تسمية النثر نثرا لأن شكله يوحي بعدم التناسق عكس الشعر الذي يتميز بشكل واضح لأنه يتقيد بالوزن والقافية.

وعلى هذا فإن الوزن هو المعيار الأساسي للتفريق بين الشعر والنثر. كما جاء في معجم le petit Robert: نثر: شكل خطاب شفوي كتابي، طريقة تعبير خاضعة لأي قاعدة نظم الشعر أو على حد تعبير موليير moliere كل ما ليس نثرا فهو شعر، وكل ما ليس شعرا فهو نثر.

فالنظم هو ما يميز دائما النثر عن الشعر، والمنظوم خلاف المنثور، والنثر أوسع تعبيرا من الشعر.

ومن النقاد من يرى أن النثر أسبق ظهورا من الشعر مع وجود فارق بين اللغة النقدية المتداولة والنثر الأدبي (الفني)، ولكن أقدم النصوص التي وصلتنا شعرية لا نثرية، فالشعر تحفظه الذاكرة ويعتمد على الخيال، وهو أسهل حفظا من النثر، ولذلك وعت الذاكرة النصوص الشعرية، بينما لم تع النصوص النثرية كالخطب وغيرها، ولذلك نطالع دائما في كتب الأدب أن الشعر أسبق ظهورا من النثر الفني الذي يعتمد على العقل.

وقد استخدم النقاد مصطلحي المنظوم و المنثور للدلالة على الشعر و النثر،حيث نجد **ابن طباطبا العلوي** في تعريفه للشعر يقول:"الشعر كلام موزون بائن عن المنثور...".

وإذا كان الشعر يمتاز في أسلوبه بالوزن والقافية، وكان الشعر والنثر متقاربين في الأغراض ،فقد صار من الممكن تعريف النثر بأنه الكلام الذي يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن ولا قافية.

وقد أقام **قدامة بن جعفر** التفرقة بين الشعر والنثر على أساس أن الشعر محصور بالوزن، محصور بالقافية، يضيق على صاحبه، والنثر مطلق غير محصور فهو يتسع لقائله. ويذكر **أبو حيان التوحيدي** صاحب كتاب"الإمتاع والمؤانسة" قولا وهو أن النثر أصل الكلام والنظم فرعه، والأصل أشرف من الفرع والفرع أنقص من الأصل لكن لكل واحد منهما زائنات وشائنات. فأما زائنات النثر فهي ظاهرة لأن جميع الناس في أول كلامهم يقصدون النثر، ومن شرفه أيضا أن الكتب القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرسل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلها منثورة مبسوطة.

ويختم **التوحيدي** ويخلص إلى أن خير الكلام ما قامت صورته على نظم كأنه نثر ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع ويتمتع مقصوده على الطبع.

أما ابن خلدون:فيرى أن الفرق بين الشعر والنثر من ناحية الموسيقى، ثم يقرر أنه لا فرق بينها إلا في الوزن، أما التقفية فمشتركة بينهما وهي في الشعر قافية وفي النثر سجع، وكل واحد من الفنيين يشتمل على فنون ومذاهب، ولكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به من أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص للشعر، والحمد المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وغير ذلك.

أما **الحاتمي** فقد قال بتفضيل الشعر عن النثر يقول: "وأولى هذين بالمزية والقدم المتقدمة المنظوم، فإنه أبدع مطالع وأنصع مقاطع وأطول عنانا، وأفصح لسانا، وأنور أنجما، وأنفذ أسهما، و أشرد مثلا، وأيسر لفظا ومعنى". ويضيف أنه أبلغ أثرا في النفس من المنثور، غير أن النثر خير منه إذا جاء النظم غير معتدل ولا متناسب القسمة.

هذا و اختلف النقاد العرب القدامى في ترجيح النثر على الشعر،**فالثعالبي** نوه بفضل النثر للتفاهم في شؤون الحرب و السلم و الصناعة و السياسة و الإدارة،ولكن **ابن رشيق** رد عليه وفضل الشعر على النثر مستدلا على أن القرآن جاء منثورا لا منظوما،واعجز الشعراء و تحداهم،وقالوا علن النبي(ص)شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر و فخامته.

كما يرى **القلقشندي** أن النثر أرفع درجة من الشعر لأنه مبني على مصالح الأمة لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك و ما يلتحق به من ولايات السيوف و أرباب الأقلام.

ونجد **المرزوقي** يفضل النثر على الشعر ودعم قوله بان الخطابة كانت لدى الجاهليين أهم من الشعر،ويسانده في ذلك **أبو حيان التوحيدي** الذي يرى أفضلية النثر على الشعر حيث يقول:"ألا ترى أن الإنسان لا ينطق في أول حاله من لدن طفوليته إلى زمان مديد إلا بالمنثور المتبدد و الميسور المتردد،ولا يلهم إلا ذاك،ولا يناغي إلا بذاك،وليس كذلك المنظوم لأنه صناعي..."،وجمع كثيرا من الأقوال في تفضيل النثر على الشعر.

وتواصلت هذه المسألة مع كثير من النقاد،فمنهم من يفضل النثر و يأتي بالحجج،و منهم من يفضل الشعر و يدلل على ذلك.ومنهم من يفضل النثر في أمور والشعر في أمور أخرى.